مجلة الدراسات التاريخية
مجلد23 العدد 02 السنة2023 ص ص77/100
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

انتقال أتراك الخزر من الديانة الوثنية الى الديانة اليهودية (الظروف والسياقات)

Transition of the Khazar Turks from paganism to Judaism (conditions and contexts)

الدكتور: خالد الشارف جامعة عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 02 / 11 /2022 **تاريخ القبول:** 03 / 12 /2022

Abstract:

In the short time between the seventh and the tenth century, the khazars established a vast kingdom which spanned from the west of the dnipro river and Kyiv (Ukraine currently), over to the Aral sea and Amudarya river to the east, and the Bolgar city on the banks of the Volga river on the north. This created a melting pot where Asian and European people were merged together. The khazars acquired a prestigious status among other nations at that time, especially with them being neighbours with two strongest entities at that age, the Islamic caliphate and the byzantine Empire. However what historically distinguishes the khazars, is the matter of judàiration. This transformation started as a risky political and military force a religious momentum whose achievement reached Andalusia in the farthest reaches of the known world at that time. Therefore, this study sheds the light on the transition of the khazars Turks to the Judaism through defining the people and their origin, along with the most important circumstances that accompanied it.

Keywords: *khazars Judaism,Islam, Christianity, Islamic caliphate, byzantine Empire.*

المؤلف المرسل: خالد الشارف

البريد الالكتروني: k.charef@lagh-univ.dz

الملخص:

استطاع الخزر خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والعاشر الميلاديين ان يؤسسوا مملكة امتد سلطانها من غرب نهر الدنبير ومدينة كييف(أوكرانيا حاليا) الى بحر آرال ونهر جيحون في الشرق ومن مدينة بلغار على نهر الفولغا في الشمال الى جنوب جبال القفقاس في الجنوب، شكلت هذه الدولة بوتقة انصرت فيها شعوب آسيوية وأوربية عديدة وتمكنوا من أن يحتلوا مكانة مرموقة بين بين الأمم في عصرهم خاصة في ظل جوارهم لأعظم قوتين آنذاك(الخلافة الإسلامية والامبراطورية البيزنطية) الا ان ما صنع تميز هذه المملكة –تاريخيا- هو مسألة التحول الى الديانة اليهودية(التهود)، هذا التحول الذي بدى في بداية الامر مناورة سياسية محفوفة بالمخاطر الا انه ضمن عدم تبعيتهم لأي من القوى المعاصرة آنذاك كما اعطى لقوتهم العسكرية والسياسية زخما دينيا بلغت مآثره الى الاندلس في أقصى اتساع العالم المعروف آنذاك. لذلك جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على مسألة انتقال اتراك الخزر من الديانة الوثنية الى الديانة اليهودية .وذلك من خلال التعريف بهذا الشعب واصوله واهم الظروف والسياقات التي صاحبت هذا التحول .
الكلمات المفتاحية: الخزر، التهود، المسيحية، الإسلام. الخلافة الإسلامية، الامبراطورية البيزنطية.

1. مقدمة:

عرفت منطقة التماس بين العالم الاسلامي والعالم البيزنطي خلال القرن السابع الميلادي صعود قوة جديدة فرضت نفسها على مسرح الأحداث، قوم أولوا بأس شديد كما تصفهم المصادر التاريخية، لقد تمكنوا من تأسيس دولة قوية لعبت دورا هاما ومحوريا في تقرير مصائر أقوام ودول كثيرة في المنطقة الممتدة بين التخوم الشرقية لأوربا الى غاية بحر قزوين، بل ولقد أصبحوا القوة الثالثة في ميزان القوى العالمي آنذاك بعد المسلمين والبيزنطيين .

لم تكن هذه القوة الصاعدة الا من عرفوا بشعب الخزر، والذين لم يكن ليتحقق لهم ذلك الصعود الا في اللحظة الفارقة التي ايقنوا فيها ان عقيدتهم

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الشامانية وقبلها الوثنية لم تكن ترقى الى مصاف الديانات الأخرى كالمسيحية والاسلام بل انها لم تكن قادرة على اضفاء السلطة الروحية لزعمائها، خاصة ان اعتناق اي من الديانتين سواء المسيحية أو الاسلام لم يكن يخلوا من خطورة التبعية لاحداهما، لذلك رأى الخزر أن يعتنقوا ديانة لا ترتبط بأي من المسيحية أو الاسلام لكنها تكون على درجة مكافئة من الاعتقاد. فجاء اعتناق الخزر للديانة اليهودية ليشكل منعرجا حاسما في تاريخ هذا الشعب خاصة أن هذا الشعب لم يكم من أرومة يهودية. وفي ظل ما يعرف عن اليهودية من انغلاق في اطار ما يعرف بالصفاء العرقي او النقاء السلالي وهو ما يجعل بحث هذه المسألة معقد جدا لأنه يجعلنا في مواجهة ثوابت في الديانة اليهودية .خاصة اذا علمنا ان تهود الخزر ليس على ضوء المصادر العربية فقط بل وحتى العبرية ينقض العديد من المقولات التوراتية ان لم نقل ينقد التوراة نفسها. ومن هنا جاء هذا المقال ليفكك هذه المسألة ويزيل بعض التعقيد عن الكثير من حيثيات هذا التحول من خلال الأجابة عن التساؤلات التالية: ما هو اصل هذا الشعب؟ وماهي ديانته قبل اعتناقه الديانة اليهودية؟ وكيف كان انتقال الخزر من الوثنية الى الديانة اليهودية؟ وماهي تجليات هذه المسألة على الخزر شعبا ومملكة؟.

1) - <u>أصل الخزر:</u>

ورد في هذا الشأن روايات مختلفة كان لها هامش كبير من التضارب والاختلاف وان كان هناك شبه اجماع على انهم ترك[1]. وفي هذه الروايات العربية وغير العربية ما يذهب الى القول بأن الخزر اتراك من ولد يافث بن نوح[2]. ولدينا مصدر

عبري متمثل في الرسائل المتبادلة بين حسداي بن شبروط[3] ويوسف ملك الخزر حيث يذكر سلسلة نسب قومه واصل سلالتهم فهو لا يرجعهم الى سام كما دأبت المصادر العبرية المتأخرة التي تحاول اثبات الأصل السامي للخزر على اعتبار انهم يمثلون أغلب يهود اليوم كما تشير الى ذلك الدراسات الحديثة بل ارجعه الى يافث بن نوح او بعبارة ادق الى "جرأة" الحفيد الثالث ليافث[4]. كما نطالع في الروايات ما يشير الى رابطة بين الخزر والاسكندر الأكبر[5]، ورابطة أخرى بينهم وبين إبراهيم الخليل[6].

وعلى كل فان هذه الروايات على ما فيها من اختلاف و تضارب الا انها تشير الى وجود الخزر في حقبة سحيقة، رغم انها لا تقدم لنا قيمة تاريخية يمكن اعتمادها في اثبات اصل الخزر، وهذا ما دفع دنلوب للقول بان هذه الروايات هي من نسج الخيال واعتمد في هذا الراي على احدى الروايات التي جاءت على ذكر الخزر مع الروس كأعداء للإسكندر حيث يرى ان مجرد التعرض لذكر الروس هو مفارقة تاريخية ،إذ لا يمكن الحديث عن الروس قبل القرن التاسع أو العاشر.[7]

ومن المفارقات العجيبة كذلك ما جاء به القلقشندي حيث اعتبر أن الخزر هم من التركمان[8] وقد انفرد بذلك -مخالفا جميع المصادر-وهو من الغلط الواضح لان التركمان من الترك غير الخزر ولهم مع الخزر مواقع مشهورة[9].

ومن ذلك أيضا ما ذهب اليه ابن العبري على اعتبار ان الكرج هم الخزر[10]، ومن الطريف أيضا ما ذهب اليه الدمشقي من أن ابن الأثير قال أن الخزر من الكرج وليس بموفق بل هم من الأرمن يدينون بالنصرانية[11]، حيث أراد أن يصحح خطأ فجاء بخطأ أقبح منه.

وما تجدر الإشارة اليه هنا أن ما ساقه هؤلاء المؤرخون وبدا فيه من اختلاف انما يعزى الى سببين اثنين :

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

أولا : أنهم لم يفرقوا بين الخزر كعرق أو قبيلة، وبين الخزر كمملكة تحوي مجموعة من القبائل.

ثانيا :لهذا التضارب فربما يعود الى ان العائلة التركية الكبيرة مازال يكتنفها الكثير من الغموض وكمثال على ذلك نحن لا نعرف الى اليوم علاقة الأتراك بالمغول على وجه التدقيق[12]. ومن الأسباب التي لا يجب اغفالها وأخذها بعين الاعتبار أن الخزر قبل قيام مملكتهم هذه المرحلة التي يكتنفها الكثير من الغموض والتي خضع الخزر فيها لتبعية عدة أقوام. خاصة اذا علمنا أن بعض المصادر تشير اليهم في القرن الأول وربما قبله[13]. ولذلك وجدنا بعض هذه المصادر تنسبهم الى تلك الأقوام[14] .

كان هذا فيما يتعلق بالروايات القديمة والمؤرخين الأوائل، أما فيما يخص الدراسات الحديثة فإننا نجد تضاربا اقل حيث تكاد تجمع هذه الدراسات على أن أصل الخزر ترك، وذلك ما أكده المؤرخ اليهودي بنيامين فريدمان في كتابه القيم "يهود اليوم ليسوا يهودا" حيث يقول ان ما تفضحه 327 مرجعا و دراسة من الحقائق عن الخزر التي تضمنتها مكتبة نيويورك العامة وغيرها من المراجع والدراسات الموجودة في المكتبات الأخرى الرئيسية العامة والخاصة مختصرة في الموسوعة اليهودية كلها تشير الى أنهم ترك[15].

وكذلك الموسوعة الإسلامية التي أكدت انهم ترك حيث ذكرت ان الخزر مجموعة من القبائل ذات الأصول التركية[16] .إضافة الى ويل ديوانت الذي يرى بأنهم ترك أيضا[17]. ونحن بدورنا نميل الى هذا الرأي، ويعززه كذلك موطنهم الأصلي الذي تشير المصادر إلى انه وسط آسيا، كما يؤكد المؤرخ اليوناني ثيوفانس حيث

يقول...اولئك الأتراك القادمون من الشرق الذين يدعون الخزر[18]. ولا يفهم من كلمة الشرق الا معنى واحد وهو الذي يتبادر الى الذهن وهو آسيا الوسطى وهو ما ذكره المؤرخون السريان حيث ذكروا انهم قدموا من سيكيثيا الداخلية على وجه التحديد[19].

2) - <u>ديانة الخزر الأولى:</u>

كان الخزر قبل اعتناقهم الديانة اليهودية يدينون بالديانة الشامانية بحكم أنهم ذوو أصول تركية

فقد عبدوا الاله الأزرق وقوى الطبيعة[20]. وقد وصل الينا في هذا المقام بعض تصوراتهم الوثنية، وعن عبادتهم الههم تنكري خان[21]، ويعتقد الدكتور عبد الوهاب المسيري أنهم انتقلوا الى الشامانية بعد الوثنية[22]. ولم يتخلصوا منها حتى بعد انتقالهم الى اليهودية حيث يذكر ابن فضلان أن الغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان اذ يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم[23].

كما تشير بعض المصادر الى دخول الخزر النصرانية على يد الأسقف الألباني إسرائيل في عهد الجاثليق الأرمني سهاك الثالث(677-703م)[24]. وربما اعتنقوا عدة ديانات أخرى ثم نبذوها حيث يستدل من آثار ترقى الى عهد الأتراك الغربيين أن قسما من الأتراك القاطنين في الجنوب الغربي من حدود الإمبراطورية الإيرانية قد اعتنقوا الديانة الزرادشتية[25]. وعلى الرغم من أن يلماز لم يذكر الخزر على وجه التحديد الا اننا رجحنا ذلك باعتبار المنطقة التي ذكرها

كما يعتقد أن بعض الأتراك المنسوبين الى سلالة الكوك ترك قد اعتنقوا الديانة الزرادشتية. خاصة اذا علمنا أن المؤرخ التركي زكي وليدي طوغان ينسب

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الخزر الى هذه السلالة [26]. وان كنا نرى أن زكي وليدي انما تحدث فقط عن الأسرة التي حكمت الخزر عند قيام مملكتهم .

3) - انتقال الخزر من الديانة الوثنية الى الديانة اليهودية:

أ. أسباب التهود:

لم يكن هذا الانتقال الى الديانة اليهودية ليحصل ببساطة دون أن تكون له بواعث سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، فمثلا نجد المؤرخ بيوري يعزو هذا التحول إلى بواعث عدَة، حيث يقول :"..لا جدال أن الحاكم(حكام الخزر) كان مدفوعا ببواعث في اعتناقه لليهودية ذلك أن اعتناق الإسلام لابد أن يجعله التابع الروحي للخلفاء الذين حاولوا الذين حاولوا فرض دينهم على الخزر، كما يكمن في اعتناق المسيحية الخطر في أن يصبح تابعا كنسيا للإمبراطورية الرومانية الشرقية، في حين كانت اليهودية ديانة لها كتبها المقدسة ويحترمها المسيحيون والمسلمون على حد سواء."[27]. إضافة الى هذا الباعث السياسي الناجم عن النزعة الاستقلالية نجد باعثا اقتصاديا مهم تمثل في الدور الذي لعبه التجار الراهدونية[28] في تهويد هذا الشعب معتمدين على نفوذهم الاقتصادي. وقد كان هدف هؤلاء التجار من تهويد الخزر أن يلعبوا دور الوسيط أو الدولة الوظيفية بين القوتين العظيمين اذ كان لكل منهما قوانينه وشرائعه ولم تكن بينهما قنوات اتصال ولا يمكن لتجار أي تجار أي طرف أن يعبروا للطرف الآخر الا بصعوبة ولذا كان من الضروري ظهور طرف ثالث هامشي مما يدخل الجماعة الوظيفية الوسيطة للقيام بالنشاط التجاري بينهما،

لذلك كان على الخزر ان يتهودوا ليستفيدوا من شبكة الاتصالات اليهودية التي يتحكم بها الراهدونية والتي كانت تعتبر نظام ائتمان دولي آنذاك[29].

إضافة إلى هذين العاملين كان هناك عامل آخر للتهود والمتمثل في موجات الاضطهاد التي تعرض لها اليهود مما دفعهم إلى اللجوء الى مملكة الخزر، ويعلق كيستلر على ذلك بقوله : "والرحمة الوحيدة التي أظهرها التاريخ لأولئك الذين لاذوا بالفرار أو دفعوا اليه كانت في وجود بلاد الخزر سوآءا قبل تحولها لليهودية أو بعده، فقد كانت هذه البلاد ملاذ اللاجئين قبل هذا التحول ثم صارت وطنا قوميا بعد ذلك"[30]. وهكذا غدت مملكة الخزر المأوى الطبيعي لهجرات جماعات اليهود المتكررة التي جاءت اليها هربا من الحكم البيزنطي الذي هددهم باعتناق دين غير دينهم بالقوة وهو ما أكدته رواية المسعودي التي تعتبر من أكثر الروايات شهرة والتي يقول فيها :" وكان تهود ملك الخزر في خلافة هارون الرشيد(786م-170/809هـ-193هـ) وقد انضاف اليه خلق كثير من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين وذلك أن ملك الروم في وقتنا هذا(332هـ) وهو رومانوس نقل من كان في مملكته من اليهود الى دين النصرانية وأكرههم ...فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم الى أرضه على ما وصفنا. وكان لليهود مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا"[31]. والكتاب الذي أشار اليه المسعودي والذي تضمن وصفا لهذه الظروف هو في حكم المفقود ونحن لا نعرف عنه شيئا. ومن الجدير بالذكر أن اضطهاد اليهود قد بدأ بأشكال متنوعة ابتداء بحكم جستنيان الأول (527م-665م) واتخذ شكلا قاسيا بنوع خاص تحت حكم كل من هرقل في القرن السابع وليو الثالث في القرن الثامن وبازل وليو الرابع في القرن التاسع, ثم بعد ذلك حكم رومانوس في القرن

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

العاشر[32]. وما يفهم أيضا من هذه الرواية أن اعتناق الخزر للديانة اليهودية كان على عهد هارون الرشيد.

ولعل أكثر الروايات تفصيلا عن تهود الخزر هي رواية البكري في كتابه المسالك والممالك التي ذكر فيها أن السبب في تحول ملك الخزر الى اليهودية هو:"... وانما كان سبب تهود ملك الخزر وكان مجوسيا أنه تنصر فرأى فساد ما هو عليه، فأخذ فيما غمه من ذلك مع بعض مراذبته فقال له: أيها الملك ان أصحاب الكتب ثلاث طوائف، فأرسل اليهم واستخبر أمرهم، واتبع صاحب الحق منهم. فأرسل الى النصارى في أسقف وكان عنده رجل من اليهود ذو جدال فناظره فقال له: ما تقول في موسى بن عمران والتوراة المنزلة عليه؟. فقال له: موسى نبي والتوراة حق. فقال اليهودي للملك قد أقر بحقيقة ما أنا عليه. فسله عما يعتقد. فسأله الملك فقال: أقول أن المسيح بن مريم هو كلمة الله وأنه المبين عن الله عز وجل بالسرائر، فقال اليهودي للملك انه يدعي دعوة لا أعلمها وهو مقر بما عندي، فلم يكن الأسقف كبير حجة. وأرسل الى المسلمين فأرسلوا اليه رجلا عالما عارفا بالجدل فأرسل له اليهودي من سمه في الطريق فمات. واستمال اليهودي الملك الى ملته فتهود..."[33]. وتعتبر هذه الرواية فريدة في بابها في المصادر العربية.

ويذهب دنلوب[34] إلى أن تكون منقولة بالأساس عما جاء في رواية المسعودي المفقودة. وعلى هذا الأساس نرى من خلال الرواية أن الملك قد اقتنع بفضل اجتهاد اليهودي الذي كان بارعا ومتمكنا في الحجة والمناقشة، وتشير هذه الرواية كما لمح بيوري(Bury) الى أن النفوذ اليهودي في بلاط ملك الخزر لابد كان قويا قبل التحول،

حيث أن الأمر استلزم استدعاء الأسقف والفقيه في حين كان اليهودي موجودا مع الملك[35]، ويشير دنلوب الى أنها تفيد بقيام المناظرة قبل التحول الى اليهودية وكان ذلك سنة 819 م (وهي سنة وفاة هارون الرشيد)[36]. وهذا التاريخ لا يتوافق مع الروايات العبرية التي سنتطرق اليها على غرار رواية يهودا هاليفي[37] في كتابه الخزاري "الخزر" الذي ألفه سنة1140م باللغة العربية أصلا تحت عنوان "الحجة والدليل في نصرالدين الذليل" ثم ترجم الى العبرية والذي يظهر من عنوانه أنه ذو طابع جدلي فلسفي أكثر من كونه مصدرا تاريخيا يمكن الوثوق به ولا التعويل عليه ، لأن رواية هاليفي تدخل أساسا في اطار ما يعرف بالجدل الديني، أي أن الكتاب عبارة عن نقد موجه للديانتين المسيحية والإسلام، الا القصة التي كانت شبيهة بما أورده البكري من نجاح الحاخام وفشل كل من القس والفقيه في اقناع الملك[38]. وتجدر الإشارة الى أن الفرق بين الروايتين في أن الفقيه المسلم لم يدس له أحد السم. ويبقى أهم ما أفادتنا به هذه الرواية هو تاريخ التحول الذي كان سنه 740م الذي اعتبره هاليفي بمثابة حقيقة تاريخية[39]. عكس المسعودي الى حوالي 800م (عصر الرشيد). ذلك أن هاليفي لم يهتم بتوسيع نطاق الحدث بل ركز اهتمامه على الأمور اللاهوتية والدفاع عن اليهودية. لذلك يبقى المصدر اللاحق والمتمثل في الرسائل التي تبودلت بين حسداي بن شبروط والملك يوسف أهم مصدر حول الموضوع، ذلك لأنها قد تحل الاشكال في التضارب بين التاريخين بالإضافة الى اشارتها الى تأثير اليهودية على الخزر.

وما يهمنا من هذه الرسائل هو رد الملك يوسف الذي حوى إجابات عن هذه المملكة وتهودها. أين استهل هذا الأخير قصة التهود بالثناء على جده الأعلى بولان بصفته الفاتح الأعظم الذي طرد السحرة وعبدة الأوثان من بلاده وكيف أن ملاكا ظهر له في أحلامه وراح يحثه على أن يعبد الاله الوحيد الصحيح ووعده بأن الاله

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

سيبارك ذريته وسوف يهلك الأعداء على يديه ويكتب لمملكته الخلود[40]. ويعلق كيستلر على أن هذه الرواية أوحت بها قصة في سفر التكوين وأنها تلمح أن الخزر هم شعب الله المختار بالرغم من أنهم ليسوا من نسل إبراهيم[41]. وهو الأمر الذي يدفعنا الى طرح أكثر من استفهام حول مدى أصالة هذه الرواية[42].ثم يواصل الملك يوسف حديثه عن تهود الخزر مشيرا الى أهم العقبات التي أثارها الملك بولان. لعدم قدرته على اقناع شعبه وتوسلاته للملاك بأن يظهر أيضا لأميرهم الكبير(الخاقان) كي يحثوه على تأييدي، واستجاب الخالد الأحد لطلب وتجلى للملك الأكبر في الحلم. فلما استيقظ في الصباح جاء اليه وأخبره بذلك. و تتواصل رسالة الملك فيروي كيف ظهر الملاك مرة أخرى للملك في الحلم وأمره أن يشيد مكانا للعبادة يمكن للرب أن يقيم فيه. ويجيب الملك بولان في حياء أنه لا يملك الذهب والفضة اللازمين لمشروع كبير كهذا. فيطمئنه الملاك بأن كل ما عليه هو أن يقود جيوشه الى داربيلا و أردبيل في أرمينيا وسيجد في انتظاره كنز من فضة وآخر من ذهب. وهو ما قام به بولان وعاد منتصرا ومحملا بالغنائم وأقام هيكلا مقدسا مجهزا بصندوق مقدس عبارة عن تابوت العهد. وشمعدان ومذبح وأدوات مقدسة حفظت الى اليوم وهي لا تزال في عهدتي[43]. ومع ذلك يمكن القول أن خطاب الملك يوسف الى هاته اللحظة هو مجرد مقدمة لقصة اعتناق الدين الجديد. فارتداد بولان عن عبادة الأوثان لصالح الاله الواحد كان الخطوة الأولى فحسب والتي فتحت أمامه الاختيار بين ثلاث عقائد توحيدية[44]. على غرار ما ذكر في الروايات السابقة.

ويذكر يوسف أن شهرة جده بولان قد ذاعت في كل البلاد وبلغت أخباره ملك أيدوم وملك بني إسماعيل فأرسلوا إليه الرسل والهدايا الثمينة الى جانب العلماء ليهدوه الى عقائدهم ولكن الملك كان ذكيا حين أرسل في طلب يهودي واسع العلم وجمع ممثلي الديانات الثلاث لمناقشة تعاليمهم[45]. وكانت نتيجة هذه المناقشات انحياز الملك الى حجة اليهودي كما حدث في روايتي كل من البكري وهاليفي.

ومنذ ذلك الحين اعتنق بولان الديانة اليهودية حيث يذكر الملك أنه منذ ذلك اليوم فصاعدا أمده الاله بالقوة وعاونه وتمت عملية الختان له ولاتباعه كما استدعى حكماء اليهود وعلموه الشريعة وشرحوا له الوصايا العشر[46].

ب. <u>مراحل التهود:</u>

يرى كستلر انه بعد بولان بحوالي جيلين حدث احياء وإصلاح ديني. وكان ذلك عندما أصبح عباديا أحد أحفاد بولان ملكا فقد قام هذا الأخير بإصلاح القانون ومجد الشريعة وقوى من شأن اليهودية. و دعا بعض المدارس اليهودية الى المملكة وجمع جمعا من حكماء بني إسرائيل وجعلهم يفسرون الكتب المقدسة والمنشا[47] والتلمود وبيان ترتيب الطقوس وما يصاحبها من كلمات. وأقام عباديا المدارس والمجامع اليهودية واستخدم الخزر في مكاتباتهم الرسائل العبرية[48]. وهو الأمر الذي يدفعنا الى القول أن تهود الخزر سار عبر مراحل عديدة بدءا بطرد بولان للسحرة وعبدة الأوثان قبل أن يظهر له الملاك ثم ابرام عهده مع الاله الذي ارتآه صحيحا، قبل أن يقرر ان كان اله اليهود أو المسيحيين أو المسلمين. ويشير كيستلر أيضا انه من المحتمل جدا أن اعتناق الملك بولان واتباعه للدين اليهودي كان بمثابة مرحلة وسطى أخرى قام على الكتاب المقدس وحده دون أن يدخل في اعتبارهم التلمود

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وكتابات الأحبار ولا الشعائر المستمدة منها[49]. وهذا يشبه الى حد كبير ما كانت عليه طائفة القرائيين[50].

وهكذا نرى أن تهود الخزر على ضوء كل الروايات قد كان عملية تدريجية أحدثتها ذريعة سياسية في البداية. ثم تغلغلت على مهل الى الطبقات الأعمق. والمراحل التي مرت بها إقامة أسس للديانة اليهودية في بلاد الخزر تبعا للمراسلات الخزرية. وفي ضوء جميع الأدلة يتأكد عدم وجود أدنى شك بالنسبة لحقيقة تهود الخزر. رغم أننا لا ندري مدى عمق هذا الايمان. على الأقل في الفترة قيد الدراسة. علما أننا لا نرغب في الاسرار على القول أن التحول الرسمي قد تم حوالي سنة 740م اثر مناظرة دينية حسب ما روى هاليفي. فذلك يبقى على عهدته دون تأييد واضح من مصدر آخر، لكن أن يكون التأثير اليهودي قد بدأ يشعر به في بلاد الخزر قبيل منتصف القرن الثامن أمر أكثر احتمالا من القول بأن ذلك حدث بعد سنة 800م حسب رواية المسعودي. هذا ويشير دنلوب الى أن القول بأن الخزر قد أصبحوا يهودا في وقت مبكر هو أمر ممكن انما بصعوبة وان كانت تلك المحصلة التي تقود اليها كل الروايات[51].

ج. نتائج التهود:

على الرغم من أن انتقال الخزر الى الديانة اليهودية كان بدافع الاستقلال وبدى كمناورة سياسية خطيرة في بداية الامر الا أنه عاد على الخزر(شعبا ومملكة) بنتائج لم تكن بالكاد في ذهن من بدأوه. يمكن ايجازها في النقاط التالية:

1. ان قضية التهود هي ما صنع تميز الخزر. فلو لم يتهود الخزر لما تغير مصيرهم عن مصائر تلك الشعوب التي بقيت على وثنيتها التي تعرضت لضغط تاريخي هائل، فكان مصيرها اما الانعزال في زوايا التاريخ ثم الاضمحلال والتلاشي أو التبعية لإحدى الحضارتين القويتين آنذاك[52] الإسلامية ممثلة في دولة الخلافة وتوابعها او المسيحية ممثلة في الإمبراطورية البيزنطة مثل:(السلاجقة، البلغار وغيرهم...الخ).

2. جلب التحول الى اليهودية في أعقابه تطورات ثقافية لم تكن في ذهن من بدأوه كما اسلفنا الذكر، فقد كان كثير من اللاجئين والمنفيين الى بلاد الخزر ذوو ثقافة رفيعة جلبوا معهم الفنون والحرف البيزنطية والطرق المتقدمة في الزراعة والتجارة[53] التي كانت سببا في التطور الحضاري الذي عرفته مملكة الخزر. وكانت اللغة العبرية هي فاتحة هذا التطور.

3. حفظ عامل الدين(التهود) للخزر وجودهم كشعب بعد انتهائهم كدولة. حيث ساهمت العقلية اليهودية المنغلقة على نفسها والمنعزلة عن العالم في حفظ الكثير من ملامح هذا الشعب سوآءا الخلقية أو اللغوية في شكل مستعمرات أو غيتوهات توزعت في شرق اوربا وروسيا بالخصوص. ساهمت فيما بعد في ظهور ما يسمى بالحركة الصهيونية والتي استهدفت كما تدعي العودة الى أرض الميعاد[54] واستعملت في ذلك منطلقات تاريخية أقرب الى الخيال منها الى الواقع، ولكنها في الحقيقة كانت مدعومة بوحدة هذا الشعب وثقله التاريخي. وان كان ضعيفا الا انه كان عاملا موحدا وموجها لهذه المجموعات البشرية للعودة للعب دورها في التاريخ.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

4. من سخرية الأقدار أن التهود الذي صنع تميز الخزر هو نفسه الذي سيصنع مصيرهم المأساوي والمفجع (كدولة فقط)، حيث أن الخزر كسبوا بتهودهم استقلالهم ومعه عداء الجميع دون استثناء. خصوصا العالم المسيحي، فلم يمن من الممكن لدولة مثل بيزنطة ان ترضى بوجود جسم قوي يدين بغير دينها على حدودها الشرقية، وهي التي تحمل لواء العالم المسيحي في جانبه الشرقي على الأقل. كما أن الدول الإسلامية على تفاوت بينها لم تنظر بعين الود لهذا الكيان[55]. اما بالنسبة للشعوب والقبائل السلافية والتركية فقد كانت ترى في هذه الدولة سدا منيعا تمنعها من لغرب، وتحد من حركتها وتفرض عليها الاستقرار اذي فيه مقتلها. مع يتبع ذلك من أداء الجزية والمشاركة في حروب هذه الدولة[56].

الخاتمة:

- بعد دراسة موضوع انتقال يهود الخزر من الديانة الوثنية الى الديان اليهودية توصلنا الى النتائج التالية:
- ان الخزر وباتفاق جميع المصادر والمراجع القديمة والحديثة ذوو أصل تركي. استقلوا بأنفسهم عن بقية الأتراك وظهر هذا الاستقلال جليا في لغتهم وديانتهم وحتى في درجة تحضرهم التي كانت أسرع منها لدى بقية الشعوب التركية.

- عرف الخزر قبل انتقالهم الى الديانة اليهودية ديانات عديدة فقد اعتنقوا الديانة الشامانية وعبدوا الاله تنكري على غرار جميع الأتراك ، كما اعتنقوا الديانة الزرادشتية بحكم مجاورتهم للإمبراطورية الإيرانية، ودخلوا الديانة النصرانية على عهد الجاثليق الأرمني سهاك الثالث(677-307م).
- ان ميل الخزر للاستقلالية املى عليهم طريقا ثالثا(التهود). وان كان هذا الطريق محفوفا بالمخاطر الا انه ضمن عدم تبعيتهم لأي من الحضارتين القوتين آنذاك (الإسلامية والمسيحية) مع إعطاء زخم ديني لقوتهم السياسية والعسكرية.
- ان قرار التهود لم يكن أمرا عارضا البتة بل كان ينم عن حكمة سياسة واستراتيجية قوية تبناها حكام هذه المملكة، هذا القرار الذي تبعه بناء دولة عظيمة شغلت مسرح التاريخ وجغرافيا العالم آنذاك لمدة ليست بالقصيرة. هذه الدولة التي لعبت دورا هاما في تقرير مصائر أقوام ودول على غرار المسلمين والبيزنطيين.(لم يكن دخولهم التاريخ الوسيط كأطرافه الفاعلين مثل بقية الاتراك عن طريق النهب من أجل المراعي والماء بل ان هذا الشعب حمل فكرة الدولة
- ان الخزر هم التركيب الوراثي ليهود اليوم وهو ما أشارت اليه تقريبا كل الدراسات التي تطرقت للموضوع، والتي يؤيدها علم الاجناس الحديث الذي اتفق مع التاريخ في دحض الاعتقاد الشائع بوجود جنس يهودي اندرج من قبيلة الأسباط الأولى، مما يفرغ نظرية معاداة السامية التي يتولى كبرها يهود اليوم من كل محتوى، لتصبح خالية من معناها خاصة بعد اثبات تهودهم واصلهم الغير سامي.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- ختاما وما تجدر الإشارة اليه ان الدور الذي لعبه هذا العنصر على مسرح الأحداث لم ينته بعد بل ظهر بشكل آخر وبدعاوى مزيفة كانت سببا في اقتطاع جزء من أراضينا العربية الإسلامية – بل وطرح تحديا حضاريا ليس أقل من التحدي الذي حمله في حقب سحيقة، ومثلما أدى آنذاك دور الدولة الوظيفية التي وقفت سدا منيعا في وجه الفتوحات الإسلامية المتوجهة نحو وسط آسيا وشرق اروبا، ها هو اليوم يؤدي نفس الدور لصالح الغرب كحاجز بشري و راع لمصالح الامبراطوريات الاستعمارية.

قائمة المصادر و المراجع:

أولا: المصادر العربية و المعربة

1. ابن فضلان بن العباس بن رشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، تحقيق: سامي الدهان، وزارة الثقافة، دمشق، 1978.
2. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، ط2، سلسة ذخائر العرب44،بدون تاريخ.
3. البكري(عبد الله بن عبد العزيزت487/1094ه) المسالك والممالك، تحقيق : ادريان فان ليوفن و أندري فيري، بيت الحكمة، تونس،1962،ج2.
4. الدينوري(أبو حنيفة احمد بن داوود ت895م/282ه) الاخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، مكتبة المثنى، بغداد،1959.
5. الطبري (أبو جعفر محمد بن جريرت310ه/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت، 1980،ج1.

6. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ج1. بدون تاريخ .
7. ابن العبري(غريغوريوس الملطي ت.1286م/685هـ)، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1890.
8. الكرديزي(أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك عاش خلال القرن11م/5هـ)، زين الأخبار ترجمة: عفاف السيد زين، القاهرة، 1982،ج2.
9. المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين بن علي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الاندلس، 2007،ج1.
10. موسيس خوزينا تسي(ت493م)، تاريخ الأرمن من البداية وحتى القرن الخامس الميلادي، نقله عن الأرمنية نزار خليلي، اشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق 1999 م .
11. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان ، 1979، ج7 .
12. اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت284هـ/897م)، تاريخ اليعقوبي، دارصادر، بيروت، ج1. بدون تاريخ.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

1. اوزوتونا(يلماز)، المدخل الى التاريخ التركي، ترجمة: ارشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات،ط1، بيروت،1991.
2. بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996.
3. بنيامين (فريدمان)، يهود اليوم ليسوا يهودا، اعداد: زهدي الفاتح، دارالنفائس، ط2، 1403هـ.
4. دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دمشق،2010.
5. ديورانت (ول)، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، دارالجيل،ط1 بيروت،1992

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

6. أبو رميلة(هشام)، نظم الحكم في عصر الخلافة الاموية في الاندلس، المكتبة العالمية،(1400-1980) .
7. الشيال(جمال الدين احمد)، لقاء الأسلاف والكرد واللان في بلاد الباب وشروان، رياض الريس للكتب والتشر،ط1، 1994.
8. عبد الجواد(ليلى إسماعيل)، الدولة البيزنطية في عصر الامبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، القاهرة،1980.
9. غوميلوف(ليف)، اكتشاف خزاريا(بلاد الخزر)، ترجمة: توفيق فايق نصار، دار علاء الدين، دمشق، 2007.
10. كيستلر(آرثر)، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، ترجمة أحمد نجيب هشام، الهيئة المصرية العامة للمتاب، القاهرة، 1991.
11. المسيري(عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، 2006.
12. المغربي(محمد عبد الشافي)، مملكة الخزر اليهودية، دار الوفا لدنيا الطباعة، الإسكندرية، 2002.
13. يهودا بن شموئيل هاليفي، الحجة والدليل في نصر الدين الذليل، ترجمة: ليلى إبراهيم عبد المجد، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2014.

ثالثا :المصادر والمراجع الأجنبية:

1. Adler E.N, jewish travellers, London, 1930.
2. Barthold,(w) and Golden (P.B),art . khazar, in the Encyclopaedia of Islam 2, new ed. Leiden, 1978.
3. Bury (J.B): a history of the eastern roman empire, london,1912.
4. Dunlop, (D.M), art. Khazars, in Encyclopaedia Judaica, Jerusalem,1971.
5. Judah ha-Levi, Book of khuzari, trans. H . Hirschfeld , New,1946.

6. Rosenthal(H),art.chazars.in the Jewish in Encyclopaedia, New York: funk and Wagnalls,1901-1906.

الهوامش

[1] ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، ط2، سلسلة ذخائر العرب،ص26.انظر ايضا:الدينوري الاخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، مكتبة المثنى، بغداد،1959،ص34.ايضا: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر بيروت، ج1، ص2-12.ايضا: الكرديزي، زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زين، القاهرة، 1982،ج2، ص433.ايضا: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،بيروت،1980،ج1، ص 218.

[2] الكرديزي، مصدر سابق، ص. ايضا اليعقوبي، مصدر سابق، ج1،ص9-12.ايضا:الطبري، نفس المصدر، ج1، ص218.

[3] يهودي اسمه حسداي بن شبروط. وقد بدأ عمله في بلاط الخليفة عبد الرحمان الثالث طبيبا في حدود سنة(329هـ940م)، ثم وضعه الخليفة الناصر على رأس ادارة المالية ، وبالرغم من اهمية العمل الذي كان يؤديه ابن شبروط الا ان الناصر لم يمنحه لقب الوزير او أي لقب رسمي واستطاع من خلال موقعه ومكانته عند الخليفة ان يجمع معلومات عن اليهود في البلدان الاخرى والتواصل معهم . ومثال ذلك يهود الخزر الذين علم حسداي بوجود مملكتهم فاخذ يبحث ويتقصى عن اخبار هذه الملكة، حتى تمكن من جمع معلومات مهمة عنها ، وقام بمراسلة ملكها وتلقى منه رسالة تعرف بمملكة الخزر وكيف تهود كثير من سكانها. انضر: ابو رميلة، هشام، نظم الحكم في عصر الخلافة الاموية في الأندلس، المكتبة العالمية(1400هـ-1980)،ص140.و دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دمشق، 2010،ص 140.

[4] Adler E.N, Jewish travellers, London,1930,p34.

[5] الدينوري، مصدر سابق، ص35-36.

[6] الطبري، نفس المصدر،ج1، ص576.

[7]- دنلوب، مرجع سابق75-76.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[8]- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ج1، ص327. والتركمان: قبيلة من الأتراك عاشوا في المنطقة الواقعة بين بحر الخزر ونهر جيحون، ثم انتقلت جموع منهم غربا ليستقروا شرقي آسيا في قونية وقيصرية و سافوستا savostaبالإضافة الى بلاد الشام وهم من العناصر البعيدة عن العنصر السامي انظر: محمد عبد الشافي المغربي، مرجع سابق،ص68.

[9]-محمد عبد الشافي المغربي، مرجع سابق،ص68.

[10]-ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1890، ص350. وهذا أيضا بعيد عن الصحة فالكرج شعب مستقل من الشعوب التي كانت تسكن جبال القبق وهم نصارى. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان ، 1979، ج7، ص230.

[11]- الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، نشره: أميرهن، ليبزج، 1923، ص263.

[12]- يلماز اوزوتونا، المدخل الى التاريخ التركي، ترجمة: ارشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات،ط1،بيروت،1991،ص12-13

[13]-آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، ترجمة أحمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1991،ص39-42. أيضا: دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1990، ص61-97.

[14] موسيس خورينا تسي، تاريخ الأرمن من البداية حتى القرن الخامس الميلادي، نقله عن الأرمنية نزار خليلي، اشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق،1999، ص146-149.

[15]-بنيامين فريدمان، يهود اليوم ليسوا يهود، اعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس،ط1403،2،ص19.

[16]- Barthold,(w) and golden(p.B), art, khazars in the encyclopaedia of islam2, newed,leiden,1978,vol7,p1173.

[17]-ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة : محمد بدران، دار الجيل، ط1،بيروت،1992،ج3،ص200.

[18] -Bury.(B):a history of the eastern roman empire, London,1919,p402.

[19] -سيكيثيا: هي المناطق الوسطى والشمالية لقارة آسيا لكنها عند الكتاب الكلاسيكيين والرومان تعني جميع المناطق الشمالية والشمالية الشرقية للبحر الأسود. وكان الاعتقاد السائد أن الأقوام البربرية تأتي من هناك. انظر: جمال الدين الشيال أحمد، لقاء الأسلاف الكرد واللان في بلاد البان وشروان، رياض الريس للكتب والنشر،ط1، 1994،ص113-114.

[20] -يلماز اوزوتونا، مرجع سابق،ص93.

[21] -Barthold, (w) and golden(p.B), ibid, vol7, p 1172

والمعروف ان تنكري خان عند الخزر هو تنكري نفسه أو(بيوت تنكري) الذي أورده ابن فضلان في رسالته كإله يعبده الترك

[22] - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، دار الشرق، القاهرة،2006، ج2، ص91.

[23] - ابن فضلان، مصدر سابق، ص169.

[24] -Barthold, (w) and golden(p.B), ibid, vol7, p 1172.

[25] - يلماز اوزو تونا، مرجع سابق،ص93.

[26] -يلماز اوزونا، نفس المرجع،ص93-94.

[27] -Burry,op,cit,p406.

[28] -الراهدونية: اسم فارسي أطلق على التجار اليهود الذين انحدروا من أصل شرقي والذين هربوا من الخليفة عبد الملك بن مروان، وانظم اليهم يهود بيزنطة، وهم الذين سيطروا على تجارة الحرير والفراء والعبيد في العصور الوسطى أنظر: ليف غوميلوف، اكتشاف خزاريا، ترجمة: توفيق فايق نصار، دار علاء الدين، دمشق، 2007،ص315-316.

[29] -عبد الوهاب المسيري، الموسوعة اليهودية، مرجع سابق،ج2،ص93.

[30] -آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، مرجع سابق،ص64.

[31] -المسعودي، مروج الذهب، دار الاندلس، 2007،ج1،ص135.

[32] - ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية في عصر هرقل وعلاقاتها بالمسلمين، القاهرة،1980 ،ص202-203.

[33] -البكري، المسالك والممالك، تحقيق : ادريان فان ليوفن و أندري فيري، بيت الحكمة، تونس،1962،ج2،ص44.

[34] - دنلوب، تاريخ يهود الخزر، مرجع سابق،ص160.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[35]-Bury, op, cit, p406.

[36]-دنلوب، مرجع سابق، ص161.

[37]- عن هاليفي وكتابه انظر الملحق رقم4.

[38]-دنلوب، مرجع سابق،ص187.

[39]- Judah ha- Levi, Book of khuzari, trans. H. hirschfeld, New York, 1946. Part one, pp 36-81.

[40]- Adler E.N, Jewish travellers, London,1930,pp22-36.

[41]-كيستلر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، مرجع سابق، ص69.

[42]-حول أصالة هذه الرواية وقيمتها التاريخية، انظر: دنلوب، تاريخ يهود الخزر، الفصل السادس.

[43]-كيستلر، مرجع سابق،ص70.

[44]- نفس المرجع،ص70.

[45]-انظر الملحق رقم06.

[46]-كيستلر ،القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم ، مرجع سابق،ص75.

[47]-هي مجموعة من القوانين التي جمعت حوال سنة 200ميلادي وشكلت أساس التلمود بعد ذلك.

[48]-Dunlop,(D. M).art. kazars, vol10, p51.

-Rosenthal,Her;an.art.chazars,vol,1.4mp2.

[49]- كيستلر، مرجع سابق، ص76.

[50]- القرائين : هو اسم لفريق من اليهود له مذهب يقوم على عدم الاعتراف بالتلمود وهم يعيشون الى اليوم في القرم ويتكلمون التركية وكتبهم المقدسة مترجمة الى التركية. انظر: بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد سعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1996، ص81.

[51]-دنلوب، تاريخ يهود الخزر، مرجع سابق،ص185.

[52]- يهودا بن شموئيل هاليفي، الحجة والدليل في نصر الدين الذليل، ترجمة: ليلى إبراهيم عبد المجد، المركز القومي للترجمة، القاهرة،ط1،2014 م .ص80-81.

[53]- كيستلر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، مرجع سابق، ص64-65.

[54]- يهودا هاليفي، الحجة والدليل في نصر الدين الذليل، مصدر سابق، ص ص367-370.

[55]- كيستلر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، مرجع سابق، ص22-21.

[56]-نفس المرجع،صAdler,ipid,p34.26